الدرس الثاني العاشر

تفسير سورة الحاقة [١ : ١٠]

سورة الحاقة، سميت بهذا الاسم لتكرر هذا اللفظ فيها ثلاث مرات، في مستهلها، وأسماء سور القرآن يؤخذ من تسمية النبي ﷺ لها أو تسمية الصحابة ، وربما كان للسورة الواحدة أكثر من اسم.

مقاصد السورة:

لهذه السورة مقصدان عظيمان، أحدهما: الإيمان بالمعاد وبيان جزاء منكريه.

المقصد الثاني: الإيمان بالقرآن، وأنه كلام الله المحفوظ.

{الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (٨) وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (٩) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً (١٠)}

افتتح الله ﷻ هذا السورة بهذا الافتتاح المهيب، {الْحَاقَّةُ* مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ}.

الحاقة: اسم من أسماء يوم القيامة، وليوم القيامة، وليوم القيامة أسماء متعددة، عد القرطبي – رحمه الله– منها أكثر من خمسين اسما، وعد ابن كثير رحمه الله في النهاية في الفتن والملاحم أكثر من ثمانين اسما كالحاقة والصاخة والطامة والآزفة ويوم التناد ويوم الحشر ويوم التغابن وغيرها

وينبغي أن نعلم أن أسماء يوم القيامة أعلام وأوصاف، كما نقول في حق ربنا ﷻ إن أسماءه أعلام وأوصاف، وكما نقول في حق نبينا ﷺ إن أسماءه أعلام وأوصاف، وكما نقول في حق القرآن إن أسماءه

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

أعلام وأوصاف فكذلك أيضًا بالنسبة لليوم الآخر فإن ما سمى الله ﷻ اليوم الآخر أو الساعة من أسماء فإنها أعلام وأوصاف.

ومعنى أعلام: أنها تدل على ذلك المعين المشار إليه، ومعنى أوصاف فإنها تتضمن وصفا بخلاف أسماء الآدميين فإنها أعلام عليهم ولا يلزم أن تكون أوصافا لهم، فقد تسمي شخصا ما صالحًا وهو في الحقيقة طالح، وقد تسميه أمينا وهو من أسرق الناس، وقد تسميه شجاعًا وهو من أجبن الناس.

فأسماء الآدميين لا يلزم أن تكون أوصافا، هي أعلام عليهم، أما أسماء الله الحسنى وأسماء نبيه ﷺ وأسماء القرآن وأسماء القيامة فهي أعلام وأوصاف، ويتضح ذلك بمعرفة كل اسم على حدة، فقد سميت الساعة بالحاقة؟ لأمرين.

الأمر الأول: لتحقق وقعها، فإنها واقعة لا محالة، لا بد أن تحق.

الأمر الثاني: لأنها تأتي بالحق الذي يكشف الباطل، فهي إذًا تحق بالحق. ومن اسمائها ما ورد في أثناء السورة: {الْقَارِعَة}، لأنها تقرع الآذان والقلوب لهول وقعها، قال تعالى: {الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ} [القارعة:١-٣].

وكذا سميت في أثناء السورة بالواقعة، فإذا وقعت الواقعة، سميت بذلك لتحقق وقوعها، وقل مثل ذلك في الطامة التي تطم كل شيء والصاخة التي تصخ الأسماع وهكذا.

{مَا الْحَاقَّةُ}، والاستفهام هنا للتعظيم والتفخيم، يعني أن شأنها عظيم، سيما وأنه قال بعد ذلك أيضًا: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ} [الحاقة:٣] فكل هذا يدل على تعظيم هذا الأمر والاحتفاء به، وأن شأنه ليس كسائر الأشياء، ألم يقل الله ﷻ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ

تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيد} [الحج:١-٢].

فينبغي للمؤمن أن يعظم ما عظمه الله، وأن يقدم ما قدم الله وأن يفخم ما فخم الله، وأن يوليه ما يستحق.

{كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ} [الحاقة:١-٤] ربما كان هذا جوابا للسؤال في قوله: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّة}.

وهاتان الأمتان بائدتان وهما ثمود وعاد، فأما ثمود فهم قوم صالح الذين كانت مساكنهم في وادي الحجر الذي يقع بين مكة والشام، ولا تزال مساكنهم موجودة كما قال ربنا: {وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِين * وَبِاللَّيْلِ أَفَلاَ تَعْقِلُون} [الصافات:١٣٧-١٣٨]، فكان من شأنهم أن آتاهم الله تعالى قوة وبأسا شديدا، حتى أنهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتا ويتخذون من سهولها قصورا.

فبعث الله فيهم نبيه صالح ودعاهم إلى توحيد الله ﷻ وعبادته قائلا لهم: {قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ} [هود:٦١]، لكنهم أبوا فلما استيئس منهم قال: {تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوب} [هود:٦٥]، فكان أن أهلكهم الله تعالى هلاكا مدويا لا نظير له وذلك بالصيحة.

قال الله تعالى: {فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَة} [الحاقة:٥]، والطاغية هي الشيء الذي يطغى ويربو ويزيد، وقد اختلف المفسرون في المراد بالطاغية، فقال بعضهم هي الصيحة التي صاح بهم جبريل عليه السلام صيحة مدوية، قطعت نياط قلوبهم في صدورهم، صوت فظيع عظيم دوى في أرجاء مدائنهم حتى لم يبق إلا مساكنهم، ولا زالت شاهدة شاخصة.

ولذا كان من المتعين ألا يمر بها الإنسان إلا باكيا أو متباكيا خلافًا لما يفعله كثير من السفهاء يذهبون إليها للاستجمام والتفكه والسياحة، وربما تناولوا المطعومات والمشروبات وتبادلوا النكات وهم يتقلبون في أرجائها، أما حال نبينا ﷺ فقد وصفه ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «لَمَّا مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالحِجْرِ قَالَ: «لاَ تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، ثُمَّ قَنَّعَ رَأْسَهُ وَأَسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّى أَجَازَ الوَادِيَ»[1]، وعنه: «أَنَّ النَّاسَ نَزَلُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الحِجْرِ - أَرْضِ ثَمُودَ - فَاسْتَقَوْا مِنْ آبَارِهَا، وَعَجَنُوا بِهِ الْعَجِينَ «فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُهَرِيقُوا مَا اسْتَقَوْا، وَيَعْلِفُوا الْإِبِلَ الْعَجِينَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ الْبِئْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرِدُهَا النَّاقَةُ»[2].

وقيل أن معنى الطاغية مأخوذ من الطغيان، يعني أهلكوا بعصيانهم وطغيانهم، لما عتوا عن أمر نبيهم، وقيل أن المراد بالطاغية هو عاقر الناقة، {إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا * فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا} [الشمس:١٢-١٥] وهو قدار بن سالف، هذه ثلاثة أقوال في المراد بالطاغية.

{وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ} [الحاقة:٥-٦]، عاد هم الذين كانوا يسكنون الأحقاف في حضر موت جنوب الجزيرة العربية في منطقة يقال لها الأحقاف، {وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [الأحقاف:٢١]، وكان الله ﷻ قد أتاهم قوة شديدة وبأسا، وكانوا طوال الأجسام ويبتنون المدائن، {إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ} [الفجر:٧-٨].

[1] أخرجه البخاري- (٤٤١٩)، ومسلم بمعناه- (٢٩٨٠).
[2] أخرجه البخاري- (٣٣٧٨)، ومسلم- (٢٩٨١).

فبعث الله تعالى فيهم هودا ودعاهم إلى توحيد الله وعبادته فاستنكفوا واستكبروا وقالوا لهود عليه السلام: {إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ} [هود:٥٤] اتهموه بالخبل والجنون، {قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللّهَ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ* مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ* إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [هود:٥٥-٥٦] هكذا تحداهم أجمعين، لهذا يقال إن آية هود عليه السلام أنه تحدى القبيلة بأجمعها أن يصلوا إليه بسوء فلم يستطيعوا، فكان أن عذبهم الله ﷻ بعذاب مهين، وذلك أنهم قد أعجبوا بقوتهم وحالهم فأذلهم الله ﷻ وأهلكهم بالريح، فأستحال الهواء اللطيف عذابا قاضيا.

قال الله تعالى: {صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ} [الحاقة:٦]، معنى صرصر: فقد قال بعض المفسرين أنها شديدة البرودة، صرصر، حتى جرس الكلمة يشعر ذلك.

وقيل أن معنى صرصر: صوت فظيع حاد نافذ، عاتية: أي شديدة الهبوب، فقد انبعثت عليهم وهبت عليهم هبوبا عاتيا شديدا حتى قال بعض المفسرين إنها خرجت عن سيطرة الخُزان من الملائكة، ولكن هذا لا يستقيم، فإن كل شيء بقدر، ولا يكون شيء إلا بأمر الله تعالى. فهذا العتو بمعنى الشدة على هؤلاء المعذبين.

سخرها عليهم: سخر هنا بمعنى سلط، إذ هو أمر قسري، {سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا} [الحاقة:٧] هذه المدة التي ضربتهم فيها هذه الريح العاتية الشديدة، سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ متتابعات حتى حسمتهم واستأصلن شأفتهم تماما، ومن معنى حسوما: أنها مشؤومات نحسات، كما وصف الله ﷻ ذلك في مواضع أخر في القرآن: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لاَ يُنصَرُونَ} [فصلت:١٦].

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

ومن معاني حسوما: أي كاملات لا نقص فيهن، ومن المفسرين من قال: إن ابتداءهن من يوم الأربعاء، ومنهم من قال من يوم الجمعة، وهذا لا يؤثر، وغالب ما يكون هذا في الروايات الإسرائيلية، ويكفينا أن الله تعالى أخبرنا بأنهن سبع ليال وثمانية أيام حسوما، فهن متتابعات حتى كما قال ابن كثير: أسكنتهم وأسكتتهم، فكانت الريح تحمل الرجل ثم تهوي به حتى ينشدخ رأسه فيكون جسدا قائما بلا رأس.

{فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى} [الحاقة: ٧]: أي هلكى منطرحين، {كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ} [الحاقة: ٧]، أعجاز جمع عجز وهو أصل النخلة المنخور البالي الذي لا جوف فيه، عنها موضة، تجد جذع النخلة منكفأ لا سعف فيها، فهكذا كان قوم عاد بعد أن أهلكهم الله قد انفصلت رؤوسهم عن أجسادهم، بهذه الريح التي هي في الأصل ريح لطيفة. فالقرآن لا يدانيه ولا يضاهيه شيء من كلام الفصحاء والبلغاء، وانظروا هذا التشبيه البديع العجيب الدال، {فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ} [الحاقة:٧]، ما تجد أوضح من هذا التشبيه، حينما تمر ببستان فيه نخل خاو تتذكر فعل قوم عاد، والقرآن جاء بصور البلاغة والبيان العجيبة جدا حتى أدهش العرب، وتعجبوا من هذا وعجزوا أن يأتوا بمثله، حتى إن لبيب بن أبي ربيعة صاحب إحدى المعلقات لما نزل القرآن أمسك عن الشعر، ولم يقل إلا بيتا واحدا:

الحمد لله الذي لم يأتني أجلي حتى اكتسيت من الإسلام سربالا

حتى أنهم لما رأوها مقبلة قال: {فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيم* تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لاَ يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِين} [الأحقاف:٢٤-٢٥]، {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ

إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيد} [هود:١٠٢]. وقد مر بنا من قبل أن الله تعالى يمهل للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته.

{فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَة} [الحاقة:٧-٨]، وهذا استفهام يراد به النفي، أي: لا، ليس لهم باقية، ولذلك يسمون العرب البائدة، هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا؟ لم يبق منهم أحد، استأصلهم الله جميعا إلا الذين نجاهم الله ﷻ مع أنبيائه وهم قلة قليلة.

فهاتان أمتان كثيرًا ما يضرب الله بهما المثل، وإنما يمثل الله تعالى بأمم في جزيرة العرب أو حواليها لأن المخاطبين في الأصل من العرب، وإلا فلا ريب أن هناك أمم وأقوام كذبوا أنبياءهم في أطراف الكرة الأرضية لم يسق الله تعالى ذكرهم كما قال الله ﷻ عن أنبيائه: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ} [غافر:٧٨] وإنما يذكر الله ﷻ الأنبياء الذين كانوا في جزيرة العرب كصالح وهود وشعيب ومن كان حولها، إبراهيم في بلاد النهرين؛ العراق، وكذلك موسى عليه السلام وعيسى، في الشام وفلسطين ومصر.

ويا لها من موعظة، لا والله ما بقي منهم أحد، وهذه سنن الله ﷻ في الأولين والآخرين.

ولما ذكر الله هاتين الأمتين أتبع ذلك بذكر أمتين أخريين، فقال: {وَجَاء فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ} [الحاقة:٩]، فرعون الذي كان ملك مصر- ويتباهى ويقول {أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلاَ تُبْصِرُون * أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلاَ يَكَادُ يُبِين} [الزخرف:٥١-٥٢]، والذي كان يقول: {أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى} [النازعات: ٢٤]، ويقول: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي} [القصص: ٣٨].

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

{وَجَاء فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ} من الأمم السابقة، وفي قراءة: وَمَن (قِبْلَهُ)، يعني من كان من أتباعه وفئته وهي قراءة معروفة، والمؤتفكات: جمع، فربما أريد بها الأمم المؤتفكات، يعني التي وقعت في الإفك وتلطخت به، وربما أريد بها قرى قوم لوط خاصة وهي قرى سدوم الذين ذكرها الله آخر سورة النجم: {وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى * فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى} [النجم: ٥٣-٥٥].

فكانت سلسلة من القرى تقع في المنطقة التي تسمى الآن البحر الميت، وكانوا مشركين وكانوا يأتون الذكران من العالمين؛ عندهم شذوذ جنسي وفسق وفجور وعهر ويأتون في ناديهم المنكر، فقام فيهم لوط عليه السلام يدعوهم إلى الله وإلى عبادته وتوحيده وينهاهم عن هذه القاذورات، فما كان منهم إلا الصد والرد وعدم القبول، حتى امتحنوه في ضيفه في قصة معروفة مبسوطة في القرآن في مواضع عدة.

والقرآن العظيم يبسط بعض القصص في موضع ويجملها في موضع، وهذا التنوع يكسب قارئ القرآن تشوقا لقراءته والاستشهاد بآياته، فبعضها يصدق بعضًا وإن اختلفت الكلمات والعبارات لكن فحواها واحدة، فهنا لا نجد عن ثمود سوى آية واحدة، {فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ} [الحاقة:٥]، ووجدنا في شأن عاد ما هو أكثر من ذلك، ونجد فرعون والمؤتفكات مجموعين في آية واحدة، لكنهم في مواضع أخر بُسط حالهم وذكرهم.

قال سبحانه وتعالى: {بِالْخَاطِئَةِ} [الحاقة:٩] أي بالفعل الخاطئ من الكفر بالله وتكذيب رسله والوقوع في الفواحش والمنكرات العظيمة، {فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً} [الحاقة:١٠] رسول ربهم هنا اسم جنس؛ لأنهم عصوا جميع رسل الله عز وجل.

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

واعلموا أن التكذيب برسول واحد تكذيب بجميع الأنبياء، تأملوا قول الله تعالى: {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ} [الشعراء:١٠٥] مع أن نوح عليه السلام أول المرسلين، فكان تكذيب قوم نوح تكذيبا لجميع المرسلين لأن التكذيب بنبي واحد تكذيب ببقية الأنبياء، وسبب ذلك أن دعوة الأنبياء واحدة، فمن كذب نبيًا واحدًا فقد كذب الباقين، كما قال: {كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ} [الشعراء:١٢٣]، {كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ} [الشعراء: ١٤١]، {كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ} [الشعراء: ١٦٠] فهذا أمر مطرد.

وهذا هو معنى قول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا* أُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا} [النساء:١٥٠-١٥١] فالكفر بنبي واحد كفر بجميع أنبياء الله، أما حال المؤمنين فكما وصف الله تعالى: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} [البقرة:٢٨٥]، فلا يجوز التفريق بين رسل الله لأن دعواهم واحدة، وهي الإسلام، {إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ} [آل عمران:١٩]، {شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا} [الشورى:١٣].

فلهذا قال الله عز وجل: {فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً} [الحاقة:٩-١٠]، رابية: أي زائدة، لأن ربو الشيء هو زيادته.

فهذه الأخذة في حق فرعون أن الله عز وجل أغرقه في اليم هو وهو مليم، وأما في حق المؤتفكات فهو أن الله سبحانه وتعالى اقتلع قراهم من تخوم الأرض حتى ارتفعت إلى السماء ثم قلبها عليهم وأتبعهم بالحجارة، فيا له من أخذ {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود: ١٠٢].

هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله